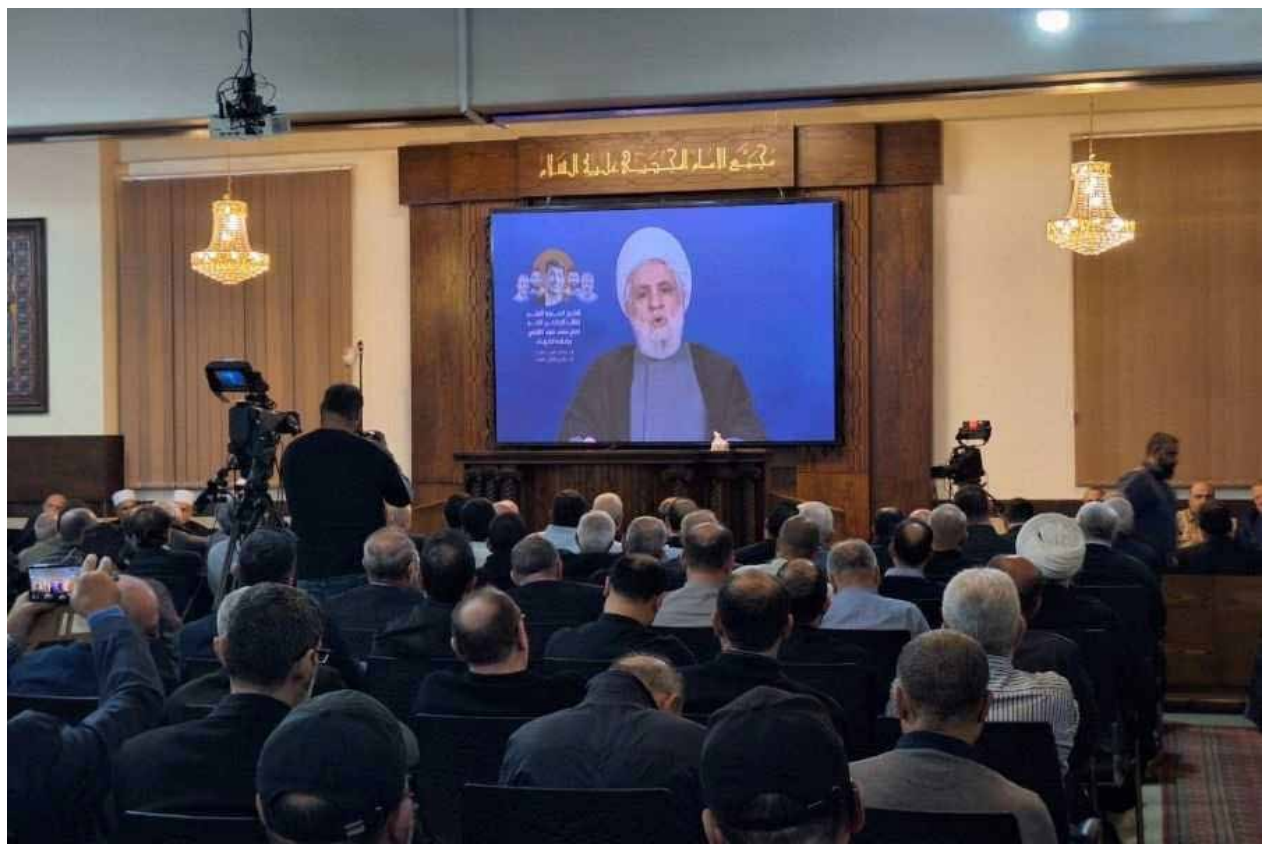

رسالة الدم والكلمة..

تحليل لخطاب الشيخ نعيم قاسم.. بين درع الوعي ومحور الخراب الأمريكي

الوفاق
د. اكرم شمص

لم يكن خطاب سماحة الشيخ نعيم قاسم، الأمين العام لحزب الله، في الذكرى السنوية لاستشهاد القائد الإعلامي الكبير الحاج محمد عفيف النابلسي ورفاقه، مجرد تأبين عابر، بل كان بيانًا استراتيجيًا شاملًا يفكك مفهوم الصراع في لبنان والمنطقة.

لقد تجاوز الخطاب حدود الرثاء التقليدي ليرسخ فلسفة متكاملة ترى أن المعركة اليوم هي في جوهرها معركة وعي وسردية، تُخاض ضد ثلاثي متكامل: العدوان الصهيوني، والوصاية الأمريكية، والفساد الداخلي الذي يمهد الطريق لكليهما.

لقد نجح الشيخ نعيم قاسم في تحويل المناسبة إلى درس فلسفي وسياسي عميق، مؤكدًا أن الحقيقة فعل مقاومة، وأن النصر الحقيقي يبدأ بتحصين الساحة من الانكشاف الفكري والمعرفي. إنها كلمة تأسيسية تضع الإعلام في طليعة المواجهة، وتفضح القوة الناعمة كأخطر أشكال الهيمنة، وتشدد على أن الاستقلال فعل مستمر لا حدث عابر.

الإعلام المقاوم: ساحة المعركة ودرع الوعي

ينطلق الخطاب من تثمين دور الإعلامي الشهيد الحاج محمد عفيف النابلسي، مقدماً إياه ليس كإعلامي مميز فحسب، بل كـ"نموذج لمفهوم الإعلام المقاوم"، الذي يرى أن الإعلام إما أن يكون صادقًا فيصنع مسارًا اجتماعيًا وسياسيًا، أو يكون مضللًا فينهار في أول احتكاك مع الواقع.

في رؤية الشيخ قاسم، الإعلام هو "الدرع الواقي للوعي"، ودوره ليس مجرد وصف الأحداث، بل المشاركة في صناعتها.

هذا يمثل المواجهة الحقيقية لـ"القوة الناعمة" التي تستهدف الوعي مباشرة عبر أدوات التضليل وتشويه الحقائق.

ويؤكد الشيخ قاسم أن الإعلام الكاذب لا يصنع بنيانًا، وأن "الناس لهم حق أن يعرفوا الحقيقة" , وهذا الحق يتحقق بـ"تحصين ساحتنا" من خلال "مراقبة ما يبث على المستوى الإعلامي". لقد أدرك العدو هذه الحقيقة، فكان اغتيال الحاج محمد عفيف استهدافًا لـ"وعي نجح في تثبيت السردية المقاومة" ، التي هي التعبير الصادق عن واقع المقاومة الإسلامية وجمهورها. فالعدو لا يغتال الأشخاص بل "يغتال الأثر"، لكنه يفشل لأن "الأثر يتحول إلى رمز".

هنا، يربط الامين العام الشيخ نعيم قاسم بين دماء الشهداء الإعلاميين من كل المؤسسات ، وبين النجاح في "إبراز حقيقة المعركة" و"مواجهة إعلام الطواغيت والمجرمين". وإن السردية المقاومة ليست أداة، بل هوية، والإعلام الصادق هو رافعتها في مواجهة الهيمنة المعرفية والعدوان على الذاكرة.

الولايات المتحدة الأمريكية: محور الخراب وشريان التبعية

يذهب الشيخ نعيم قاسم في خطابه إلى أبعد من النقد السياسي المعتاد ليضع الولايات المتحدة الأمريكية في موقع "مصدر الخراب" ومحور التخريب البنيوي الذي يعيق قيام الدولة المستقلة. بالنسبة للشيخ نعيم قاسم، فإن "الوصاية الأميركية على لبنان خطر كبير جدا" ، وهي تمارس هيمنة شاملة ومتعددة الأوجه:

- **الهيمنة السياسية والعدوان العسكري:** يصف أمريكا بأنها "معتدي وراعية للعدوان الصهيوني" ، وأنها توجه "العدو" حول حدود العدوان ليتواءم مع الضغط السياسي. والتحرر هنا ليس فقط تحرير الأرض، بل تحرير "معنى الدولة ومعنى الوجود السياسي".
- **الهيمنة الاقتصادية والمالية:** يكشف الشيخ نعيم قاسم عن دور الولايات المتحدة المباشر في الأزمة الاقتصادية، متسائلًا: "من الذي خرب لبنان من سنة ٢٠١٩ حتى الآن؟ الأميركيون هم الذين خربوا لبنان". ويشير إلى أن "العملة انهارت في لبنان بسبب أمريكا، والبنوك أفلست بسبب أمريكا". هذا التحليل يقدم سردية مضادة تضع الانهيار الاقتصادي في سياق الحصار الجيوسياسي، وليس مجرد الفساد الداخلي.
- **التخريب الخدماتي وإثارة الفتنة:** يوضح الشيخ قاسم كيف منعت أمريكا وصول الكهرباء من مصر والأردن، وعطلت ملف النفط. وفي الجانب الاجتماعي، يشير إلى أن التظاهرات التي حصلت في ٢٠١٩، رغم أنها عكست "ألم شعبي"، إلا أنها كانت تتضمن "تدخل أجنبي أميركي يريد أن يُحدث فتنة داخلية وتعديل بالموازين الداخلية". هذا يكشف عن إدراك الشيخ قاسم لآليات القوة الناعمة التي تستخدم المطالب الشعبية كغطاء للتدخل السياسي.

إن الخطاب يربط بوضوح بين النفوذ الأمريكي ومحاولات تقويض أي قوة شعبية أو مالية غير خاضعة لها، مشيدًا بـ"القرض الحسن" بوصفها "رئة التنفس الاجتماعي في هذا الوضع الصعب" ، ومحذرًا الحكومة وحاكم المصرف من الإجراءات التي تضيق على اللبنانيين خدمةً للأجندة الأمريكية.

الانهيار الداخلي: الفساد والتنازلات خيانة للسيادة

لا يتوقف الامين العام عند النقد الخارجي، بل يوجه نقدًا شديد اللهجة للمسار الداخلي الذي يرى أنه ينزلق نحو التنازلات، واصفًا هذه التنازلات بأنها "تخطئ الحكومة عندما تسلك طريق التنازلات طمعا بانهاء العدوان".

ويؤكد الشيخ قاسم على أن المشكلة الأساسية في لبنان ليست المقاومة، بل "العدوان هو المشكلة". ومن يرى أن "المقاومة مشكلة لانها لا تستسلم يقبل ان يسلم البلد الى "العدو الصهيوني .وفي هذا الإطار، يُعتبر "إقرار مبادئ ورقة براك المخزية" و"إعلان الاستعداد للتفاوض" بمثابة تنازلات مجانية تزيد من شراسة العدوان ولا تنهيه.

ويشن الأمين العام هجومًا على من أسماهم "من يبخون السم" و"طابخوا السم" ، وهم الأطراف الداخلية التي تسعى لإثارة الفتنة وتسهيل السيطرة الأجنبية من خلال "العمالة والتبعية". ويشير إلى أن تعطيل المجلس النيابي و"الهجوم على الرئيس نبيه بري" ، هو في جوهره هجوم يهدف إلى "تسهيل السيطرة من خلال استدعاء الوصاية الأجنبية" ، لأن الرئيس بري يمثل "ركيزة استقرار لبنان ومنع الفتنة".

بهذا، يربط الشيخ قاسم بين الهيمنة الأمريكية، التي تسعى لـ"إحداث فتنة داخلية" ، وبين الأطراف الداخلية التي تتنازل أو تعطل الدولة، في إطار مشروع متكامل لنزع سيادة الوعي قبل الأرض". إن الدعوة هنا واضحة: "جربوا قول كلمة 'لا'، ولنكون معا جميعا"، لأن الاستقلال يُصنع بالتشبث بالحق، لا بإغراءات التسوية السريعة.

خلاصة: الاستقلال صيرورة وشرعية الدم

إن خطاب الشيخ نعيم قاسم هو خارطة طريق للمواجهة، تؤكد أن المقاومة كهوية مجتمعية هي "شرط وجود" للبنان الحر. لقد قدم رؤية تتلخص في أن القوة ليست قوة تنظيم، بل قوة تاريخ ، وأن "مستوى قوة أهلنا ومجتمعنا غير مسبوقة والأعداء حائرون بهذه القوة".

تتحول الشهادة في هذا الخطاب إلى شرعية روحية للمسار الاستقلالي ، فـ"الدم يُنتج معرفة، وهذه المعرفة تُنتج حرية". إن أصحاب الشرف والعزة هم "الباقون... وهم الفائزون".

بهذا التحليل، يثبت خطاب الشيخ نعيم قاسم أنه ليس مجرد كلمة تأبينية، بل هو مستند سياسي وفلسفي يعزز مفهوم التحرير الشامل: تحرير الأرض من الاحتلال، وتحرير القرار من الوصاية الأمريكية، وتحرير الوعي من التضليل، وتحرير الدولة من التنازل والفساد. إنها دعوة إلى الصمود وصناعة المستقبل ، لأن "لا نقبل أن نصبح عبيدا لأحد".

يثبت خطاب الشيخ قاسم أنه ليس مجرد كلمة تأبينية، بل هو مستند سياسي وفلسفي يعزز مفهوم التحرير الشامل

وسط عمليات صهيونية متواصلة في الضفة وغزّة

شهداء في كفر عقب شمال القدس وخان يونس

في اليوم الـ٤٢ من بدء وقف إطلاق النار في غزة،، شن جيش الاحتلال الصهيوني فجر الجمعة سلسلة غارات جوية ترافقت مع عمليات نسف وقصف مدفعي وإطلاق نار مكثف استهدف فيها مناطق عدة خلف ما بات يعرف بالخط الأصفر في قطاع غزة.

بموازاة ذلك استشهد فلسطينيان فجر الجمعة (٢١ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٢٥)، برصاص جيش الاحتلال الصهيوني خلال اقتحام بلدة كفر عقب شمال مدينة القدس المحتلة.

في حين استأنفت الجمعة عمليات البحث عن جثث لأسرى صهاينة في حي الزيتون بمدينة غزة وفي وسط القطاع.

في المقابل، اتهمت حركة المقاومة الإسلامية (حماس) تل أبيب بتوسيع "الخط الأصفر" غربا، في خرق لاتفاق وقف الحرب، وباستخدام المساعدات أداة لابتزاز المقاومة والشعب الفلسطيني.

شهداء في الضفة المحتلة

في التفاصيل، أفادت جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني بأن طواقمها تعاملت مع إصابتين خطيرتين بالرصاص الحي أثناء اقتحام قوات الاحتلال بلدة كفر عقب شمال مدينة القدس المحتلة، حيث جرى نقلهما إلى المستشفى. وفي وقت لاحق، أعلنت وزارة الصحة استشهاد الفتيين عمرو خالد أحمد المربوع (١٨ عامًا) وسامي إبراهيم سامي مشايخ (١٦ عامًا) متأثرين بإصابتهما. وجاء الاستشهاد عقب اقتحام قوات الاحتلال الصهيوني كفر عقب، وانتشار دورياتها الراجلة في شوارع البلدة، إلى جانب اعتلاء قناصة الاحتلال أسطح عدد من البنايات وإطلاقهم النار على الشبان، ما أدى إلى استشهاد المربوع ومشايخ.

وتشير المعطيات إلى أنّ اعتداءات جيش العدو والمستوطنين في الضفّة الغربية بما فيها القدس المحتلة، تسببت منذ بدء حرب الإبادة الجماعية على قطاع غزّة في أكتوبر ٢٠٢٣ - والتي استمرت لعامين - باستشهاد ما لا يقل عن ١٠٧٦ مواطنًا وإصابة نحو ١٠ آلاف آخرين.

آخر التطورات في القطاع

وفي غزّة، استشهد فلسطيني صباح الجمعة برصاص جيش الاحتلال الصهيوني في شارع الطينة جنوب مدينة خان يونس. وقال شهود عيان إنّ الشهيد قُتل في منطقة خارج سيطرة جيش الاحتلال جنوب خان يونس.

ونفذ جيش الاحتلال الصهيوني غارات جوية شرق خان يونس، وواصل عمليات نسف المنازل شرق المدينة وداخل مدينة رفح، في وقت أطلقت فيه الزوارق الحربية النار على ساحل بحر رفح جنوبي القطاع.

كما قصفت المدفعية الصهيونية منطقة شرق مخيم البريج وسط القطاع، ونسفت قوات الاحتلال فجر الجمعة منازل سكنية شرق مدينة غزّة.

وفي مدينة غزة، أفادت وسائل إعلام بأن جيش الاحتلال نفذ "عملية نسف ضخمة" داخل "الخط الأصفر" شرقي المدينة.

وبحسب شهود عيان، نقل جيش الاحتلال الصهيوني الخط الأصفر نحو ٥٠٠ متر باتّجاه الغرب في حيّ التفاح شرق غزّة، كما أجبر مئات المواطنين على النزوح تحت وطأة إطلاق النار.

وخلال الساعات الـ٢٤ الماضية، استشهد ٣٣ فلسطينيًا بينهم ١٢ طفلا و٨ سيدات وأصيب ٨٨ آخرون في غارات صهيونية على قطاع غزّة. ومنذ وقف إطلاق النار، تفيد المصادر الطبية باستشهاد ٣١٢ مواطنًا وإصابة ٧٦٠، إلى جانب انتشال ٥٧٢ جثمانًا لشهداء.

وبذلك ترتفع حصيلة العدوان الصهيوني منذ السابع من أكتوبر ٢٠٢٣ إلى ٦٩,٥٤٦ شهيدًا و١٧٠,٨٣٣ مصابًا.

عشية عيد الاستقلال الـ ٨٢

الجيش اللبناني: لن نبخل بأي جهد أو قطرة دم لتحقيق السيادة

وجّه قائد الجيش اللبناني العماد رودولف هيكل في أمر اليوم، في الذكرى الـ ٨٢ للاستقلال، قال فيه: "أيها العسكريون تحل علينا ذكرى عيد الاستقلال هذا العام، مجسدة نضالًا خاضه اللبنانيون منذ اثنين وثمانين عامًا، متحدين في وجه صعوبات كبرى، إلى أن انتزعوا حقهم في وطن نهائي يضمهم تحت علمه، إخوة في الهوية والانتماء. سنوات كثيرة كانت حافلة بالمحطات المفصلية، والتحديات التي وضعت اللبنانيين أمام اختبارات صعبة، وتركت أثرها في وطنهم، لكنهم تخطوها كل مرة، ومضوا قدمًا في مسعاهم لبناء مستقبل أفضل لهم ولأبنائهم. وها هو وطننا يشهد اليوم مرحلة مصيرية هي من الأصعب في تاريخه، وسط الاحتلال الصهيوني لأراض لبنانية، واستمرار الاعتداءات والانتهاكات التي تؤدي إلى وقوع شهداء وجرحى، وتمنع استكمال انتشار الجيش، وتتسبب بدمار في الممتلكات والمنشآت".

وأضاف: "أيها العسكريون لقد بذل الجيش جهودًا جبارة منذ دخول اتفاق وقف الأعمال العدائية حيز التنفيذ، رغم الإمكانات المحدودة والصعوبات الناتجة عن الأزمة، حيث قدمت المؤسسة العسكرية تضحيات جسامًا، ووقع العديد من عناصرها شهداء وجرحى على مذبح الوطن، وصمدت في مواقعها رغم الظروف الخطيرة، للمحافظة على حق لبنان في السيادة على كل شبر من أرضه، وهي لن تتوانى أو تبخل بأي جهد أو قطرة دم لتحقيق هذه الغاية، بالإضافة إلى دعم عودة النازحين إلى قراهم. هذه الجهود تستلزم مواكبة حثيثة من مؤسسات الدولة، ضمن إطار جهد وطني شامل، وتوفير الإمكانات، وتحسين أوضاع العسكريين، وتهيئة الظروف الضرورية لاستعادة الاستقرار".

وتوجه للبنانيين بالقول: "ابقوا كما عهدناكم دائمًا إلى جانب جيشكم، فهو ضمانتكم عند اشتداد المحن. إن ثقتكم بالجيش هي الأساس لاستمراره، والوحدة الداخلية هي الأساس لنهوض لبنان".

وختم: "في عيد الاستقلال، نجدد إيماننا بلبنان، ونستذكر بإجلال وإكبار شهداءنا الأبرار، ونؤكد أن التحديات لن تقوى على إرادتنا، وأن وطننا سيتخطى هذه المرحلة بفضل وحدة أبنائه وصلابة جيشه".

الرئيس اللبناني يزور قيادة قطاع جنوب الليطاني

في غضون ذلك زار الرئيس اللبناني العماد جوزاف عون قيادة قطاع جنوب الليطاني، في ثكنة بنوا بركات في صور، عشية الذكرى الـ٨٢ للاستقلال، حيث كان في استقباله قائد الجيش العماد رودولف هيكل وقائد القطاع العميد الركن نقولا تابت وكبار الضباط.

وتحدث الرئيس عون إلى الضباط مهنئًا بذكرى الاستقلال، لافتًا إلى أن الاحتفالات التقليدية التي تقام في المناسبة ستغيب هذه السنة بسبب الظروف التي يمر بها البلد.

وقال: "أتيت، اليوم، إلى الجنوب في ذكرى الاستقلال، لأؤكد أن هذه المنطقة الغالية هي في قلوبنا دائمًا، وأن الجيش الذي يحمي الجنوبيين كما جميع اللبنانيين، ثابت في مواقفه والتزامه في الدفاع عن الكرامة الوطنية والسيادة والاستقلال. وهو يقدم وفاء لهذه المبادىء الشهيد تلو الآخر غير آبه بما يتعرض له من حين إلى آخر من حملات التجريح والتشكيك والتحريض".

كما نوه الرئيس عون بالدور المميز الذي يقوم به الجيش المنتشر في الجنوب عمومًا، وفي قطاع جنوب الليطاني خصوصًا، محييًا ذكرى العسكريين الشهداء الذين سقطوا منذ بدء تنفيذ الخطة الأمنية، والذين بلغ عددهم ١٢ شهيدًا.